قصاصات أحمد وليد منصور غير القابلة للطعن

ساطع الحصري من طوراني يدعو إليها إلى رائد للقومية العربية وفي لغته رطانة!!

إسماعيل مروة

حكمت محسن

فارس الخوري

ليس كتاباً عادياً كما تعودنا من الأساتذة المحامين، فعندما يصدر كتاب عن أحد الأساتذة فإنه غالباً ما يكون من وقائع المرافعات أو المشاهدات في قاعات المحاكم، أو يكون من ذكريات الأستاذ المحامي في أثناء ممارسته لمهنته، أو يكون في مواضع عديدة من الأروقة والقضايا التي يمكن أن تفيد شريحة مهمة من الناس.. وفي بعض الأحيان يكون المحامي من الشخصيات المهمة الاعتبارية في الحياة العامة كما هو حال الأستاذ الراحل الأديب نجاة قصاب حسن، فتنحو مؤلفاته تجاه الحياة والثقافة والأدب والفن.. وقد نشر عدد من المحامين يومياتهم وتجاربهم كما هو حال الأستاذ نجاة قصاب حسن والأستاذ الراحل هائل اليوسفي، وحين اطلعت على كتاب (قصاصات غير قابلة للطعن) للأستاذ المحامي أحمد وليد منصور وجدتني مدفوعاً لقراءته من إيماني بأنني سأقرأ كتاباً مختلفاً في موضوعه وطروحاته.

البحث والتوثيق

لا يحتاج الكتاب وأنت تطالعه إلى أي نوع من الاستعراض، فالعنوان دال وحده على ما فيه (قصاصات غير قابلة للطعن) والطعن هنا يحمل دلالتين أولاهما زمنية، فقد مضت هذه القصاصات، ولم يعد من إمكانية لأي نوع من الطعن فيها، وثانيتهما اصطلاحية حقوقية، فهي أوراق لا يمكن للطعن أن يغيّر ما فيها من أحكام قضائية.. أما العنوان الفرعي، فهو الذي أعطى الكتاب البعد التوثيقي التاريخي (بين القضاة والسياسيين السوريين ١٩١٨-١٩٦١) فالكتاب فيه إيثار، ومن خلاله أراد المؤلف الحقوقي، ومن خلال اطّلاعه ومعرفته العلمية أن يوثق لمرحلة زمنية تقارب نصف قرن من الزمن للقضاء السوري، وآليات تعاطيه مع السياسيين وتدخلاتهم وقضاياهم.. وفي الكتاب طرفان اثنان: القضاة والسياسيون. وفي هذا الكتاب يستعرض الأستاذ المحامي وقائع قد لا يصدقها المرء، لشخصيات قضائية كانت لائقة بالقضاء واسمه ومهمته ومهنته، وفي هذا الميدان لا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من هذه القصاصات منثور في الدوريات والكتب، ولكن الباحث وضع على عاتقه مهمة البحث والتنقير والتمحيص لجمع ما يستحق، وما يعطي دلالة قاطعة على مكانة القضاء السوري واستقلاليته، وربما تابع الباحث نفسه أو غيره مثل هذه القصاصات من عام ١٩٦١ وإلى يومنا، ليكشف جوهر قضائنا الذي يحتفظ بالصور المضيئة والمشرقة التي تؤكد بلا أدنى شك أن القضاء فيه من النزاهة والمواقف النبيلة ما يستحق الوقوف عنده.. ولا بد من الاعتراف أولاً بأنني، وعلى الرغم من إدماني القرائي، فهناك قصاصات كثيرة لم أطلع عليها قبل هذا الكتاب.. وذلك يعود إلى تقصيري، وإلى خبرة الأستاذ المحامي الذي يجيد الالتقاط وجمع القصاصات، ولكن تلك القصاصات التي تمثل تاريخاً وتوثيقاً، ولا تكتفي بالاستعراض المعرفي، ولأنه يدرك أن هذه الأخبار لا تتجاوز القصاصات، فقد أطلق الاسم عليها من دون البحث عن مسمى أكثر فخامة، وفي الوقت نفسه أعطاها صفتها التي تستحقها، فهي غير قابلة للنقض، لأنها كانت مبرمة، وصارت في ثنايا التاريخ.

صفة الكتاب

د. سامي المبيض من الذين أخلصوا للتاريخ السوري الحديث والمعاصر، وقد أنجز عدداً من المؤلفات والمصنفات التي تجمع بين الوثيقة والتحليل والدراسة والاستخلاص، وقد استطاع المبيض أن يدوّن اسمه مؤلفاً وباحثاً وموثقاً، وقبل كل شيء كان مفتوناً بالتاريخ السوري والدمشقي، ومنصفاً غير متعاطف بشكل مرضي مع بلده ومدينته، لذلك قد نجد في أحايين كثيرة نقداً قاسياً لأشخاص أحبهم، أو لطريقة حياة أو سياسة، أو لمدينة، وقد أراد المؤلف أن يضع هذا الكتاب بين يدي د. المبيض، وفي هذه الخطوة تطويب لمنهج أراده المؤلف وارتضاه، ومما جاء في تقديم المبيض «حكموا بالعدل وتسلحوا بالحق» فقد أعطوا سورية الكثير الكثير، ولم يأخذوا بالمقابل سوى شرف الانتماء إلى هذا البلد، أسماء كبيرة مثل القاضي محمد أقبيق والشيخ علي الطنطاوي، لولاهم لما كانت النهضة ولما كان الجلاء..

تكمن قوة هذا الكتاب في أن صاحبه ليس مؤرخاً، وهو لا يدعي ذلك بالمطلق، هو رجل قانون محترف، قارئ جيد لتاريخ بلاده، وموثق لكل ما يتعلق بمهمته.. كيف يستطيع كل من عرف الشام وأدمنها ألا يعشق هذا الفعل، وخاصة وهو يعيش داخل دمشق ويشاهدها تشيخ أمام عينيه، وتتلاشى ببطء نتيجة الفوضى والفساد وسنوات الحرب على سورية.. أحمد منصور استمرار لذلك الجيل من الحقوقيين الأصيلين.

أما المؤلف والموثق أحمد منصور فيتحدث عن الهواية والشرارة، فهو يجمع هذه القصاصات منذ زمن، لكن شرارة جمعها تنطلق من مهنته واحترامها، وفي ذلك يقول «القاضية الأميركية- آن دونللي- لم يرقها إجحاف ترامب بشأن المهاجرين، فأعطت حكمها الجريء، بإيقاف العمل بقرار الرئيس ترامب. كنت منذ فترة طويلة، أقوم على إعداد كتاب يتضمن جزءاً من الحياة القضائية والقانونية والسياسية التي عاشتها سورية في مرحلة من مراحل تاريخها الطويل، وجاءت قصة ترامب هذه لتشعل لهيباً، كانت قد أطفأته لعنة الحرب التي طالت سورية».

> الاستقالة أقلّ ألماً من إنهاء عمل قاض مشهود له دون سبب

والكاتب يعلم أن هذا الكتاب الذي يتناول ظواهر مستهجنة اليوم قد لا يروق، لذلك ختم تقديمه بكلمة ناقدة واعية تبين إدراكه لما يقوم به.. أقدمه لكل مهتم بالتاريخ السوري، على الصعيد القانوني والسياسي والاقتصادي، أجمعه كباقة زهور من مختلف المراجع، باقة قد تغضب زهورها ورائحتها البعض، وقد تعجب البعض الآخر، ما يهم في الأمر أنها موجودة حقيقة، وعلينا جميعاً، أن نشتمها، ونتطيب برائحتها، فهي جزء من تاريخ لا يمكننا إهماله».

هذا الوعي السياسي والقانوني يلزمنا عند تصنيف كتاب أو تدوين مقالة، لأنه يصل إلى الغاية النبيلة التي لا تستثني ما لا يروق لنا، سواء أحببنا الأمر أم لم نحب، فعندما نقوم بتدوين الوثائق علينا أن نكون منصفين، وهذا ما نقع عليه في هذه القصاصات التي تقدم صورة صادقة للقضاة والسياسيين السوريين في أكثر من نصف قرن.

شواهد باقية وبحث عن استقلالية

يختلف هذا الكتاب عن غيره من الكتب، وخاصة في ظل وجود من يحاول أن ينال من القضاء، وهنا يقدم المؤلف الموثق وثائقه لا ليدافع عن القضاء، وإنما لينقل لنا من دون تدخل منه صورة للقضاء صاحب الصوت المستقل، والحكم القاطع الذي لا يقبل طعناً أو رداً، وإنما كان قراره مبرماً دوماً، ولا يحمل أي شبهة للطعن فيه أو رده، وما يسجل لهذا الكتاب التوثيقي هو جمعه للأوراق من وجهة نظر قضائية خالصة، وليس من أي منطلق سياسي أو إيديولوجي، لأن غايته تتمثل في البنية القضائية السورية لا شيء سواها، فنجد حديثاً عن محاكمات سياسية وعسكرية ومدنية، ونجد أسماء لقضاة لهم مواقفهم السياسية والفكرية التي قد لا يتفق بعض الناس معها، إضافة إلى تدوين سيرة عدد من رجال القضاء لا يعرفهم سوى قلة من القراء بأنهم كانوا قضاة من الطراز الرفيع!

فمن المواجهة بين السلطتين السياسية والقضائية، بدأ المؤلف كتابه ليظهر للقارئ بوضوح احترام الحكم المدني في المجتمع حين تم تأسيس نظام التشكيلات الأساسية للاستناد إليه في الحكم المدني، والذي يعد أول دستور لسورية بعد استقلالها عن الدولة العثمانية.

وعلمية القضاء وحياديته جعلت القضاء يأخذ مواقف حادة وقوية تجاه شخصيات اعتبارية يقف القارئ منها موقفاً فيه الكثير من التبجيل والاحترام، ولا أخفي أن هذا الكتاب قدّم لي معلومات جديدة غاية في الجدة، أثارت استغرابي، وفي الوقت نفسه احترامي للتراتبية القضائية، وحسبنا أن نقرأ لنتعلم ونعيد للقضاء استقلاليته التامة واعتباره كما كان، ولعل أغرب ما قرأت هو الحديث عن ساطع الحصري، وكما تذكر المصادر- ولم أكن أعلم بها- كان صاحب نزعة طورانية ثم أصبح رائداً للقومية العربية، ونتيجة لعدم إجادته العربية بشكل جيد، ولقراراته التعليمية التي لم يجدها الناس في مصلحة التعليم، وبعد العرض لنقرأ الحكم «لما كانت الشكاوى من ساطع بك مدير المعارف العام قد بلغت حداً يستلزم الدقة والإمعان، ويستوقف عنده النظر، وكانت الأخبار المتسربة من مصادر موثوقة، تدل على استياء المعلمين، والمعلمات، ومديري المدارس، من الموماً إليه، أصبح عاماً بسبب جهله باللغة العربية، وعدم امتزاجه مع أولئك جميعهم، حتى اضطر قسم منهم لترك المدارس، وإهمال الوظائف، وكان حسن الإدارة والامتزاج، والمشي مع سنن الرقي والعمران، في طريق التدرج، هو من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الموظفون، فإنها تتحسن بتبديل الموماً إليه».

فهل هناك بعد هذه القصاصة من دليل على نزاهة القضاء وحكمه المبرم، وخاصة مع وجود أسماء الموافقين وأسماء المخالفين، وأنت تتعامل مع اسم له مكانته الكبرى في القومية العربية وربما أوحت لك هذه القصاصات بأشياء كثيرة.

إن هذه القصاصات تقدم قضايا تثير العجب والاحترام لأمور كان فيها شكري القوتلي طرفاً أو أديب الشيشكلي أو العسلي أو الحصري أو سواهم من الناس الاعتباريين، وتعرض لك أسماء قضاة من القضاة الذين تركوا أثراً في الحياة القضائية والسياسية من أمثال علي الطنطاوي الذي لم يحل بينه وبين الرأي القضائي حائل، وغيره من القضاة.

قصاصات تستحق الوقوف عندها، وأدعو السيد المحامي أحمد وليد منصور أن يتتبع هذه القصاصات إلى وقتنا، فلابد أنه سيقع على قضاة من نوع أولئك أو أهم، ولا بأس من إيراد تجاوزات لسياسيين على القضاء، أو من قضاة لمصلحة السياسيين.

الدراما الإذاعية هل باتت خارج السمع؟

مواجهة معادلة صعبة عبر تحول الإذاعات إلى موجة FM ذات الإيقاع السريع

وائل العدس

حكمت محسن

للإذاعة جمهور خاص، وهناك فئات من عشاقها، منهم قطاع كبير من كبار السن الذين قضوا أحلى أيام شبابهم في الجلوس أمام المذياع وفئة كبيرة ربات البيوت.

المذياع كان الصديق المقرب للإنسان في كل مكان كالسيارة أو عند النوم مثلاً، وربما يعود في المستقبل بشكلٍ أكبر، لأن الناس تعبوا من كثرة الصور التلفزيونية وهم بحاجة لقليل من الراحة، وبما أن «الأذن تعشق قبل العين أحياناً» كما قال الشاعر بشار بن برد، فإن التالي استثارة الخيال في الإذاعة تكون أكبر.

ورغم تضاؤل دور الإذاعة فإن الناس يركبون سياراتهم ويستمعون للأغاني والأخبار والبرامج والمسلسلات، وكثرتها أدت إلى خصخصة الإذاعة كوسيلة إعلامية، خاصة مع استخدام الرسائل القصيرة والتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وأمام الهجمة الكبيرة من وسائل الإعلام الحديثة انصرف عنها نسبة كبيرة من الجمهور، وأصبحت علاقتهم مرتبطة بها ببعض الأوقات للاستماع للبرامج الخفيفة والأغاني.

ومع الحضور الكثيف للتلفزيون واليوتيوب وتحول الجمهور إلى انتقائي في ما يريد أن يتلقاه من الإعلام، تضاءل استماع الناس للإذاعة وأصبح الاختيار محصوراً بنوع البرنامج الإذاعي مثل الموسيقا الكلاسيكية، والجاز، والأخبار.

الدراما فعل إنساني

فن الدراما موجود في دماء كل منا، نحب أن نصنعه أو نتفاعل معه، ولا يمكن لأي منا أن ينسى أمتع لحظات طفولته، وهو يستمع إلى حكايات جدته ويشد إليها شداً، ثم ينام ليعيشها في أحلام منامه كما عاشها في أحلام يقظته.

ولا بد للدراما أن تحتوي على صراع بين قوتين، كصراع الإنسان مع نفسه، أو صراع الإنسان الخيِّر مع الإنسان الشرير، أو صراع الإنسان مع بيئته، أو صراع الإنسان مع القدر، فكل ذلك فعل إنساني، يتم فيه صراع ذو مبررات، ينتهي بنتائج منطقية ومقبولة.

وباعتبار الدراما فعلاً إنسانياً فهي إذاً تعتمد على المحاكاة، وهي تقتبس مادتها من الحياة، لأن الدراما لا تنقل الواقع نقلاً مباشراً أو مطابقاً، بل إنها تظهر الواقع بالأسلوب الفني المطلوب، وبالطريقة التي تجعل العمل الدرامي عملاً فنياً متكاملاً، ولأن الإنسان هو المحور الرئيسي للعمل الدرامي، فإن فن الدراما يبقى بقاء الإنسان، ليقدم التجربة البشرية الدائمة التي تبرز مشاكل، وتساهم في التعايش مع عواطفه وأحاسيسه.

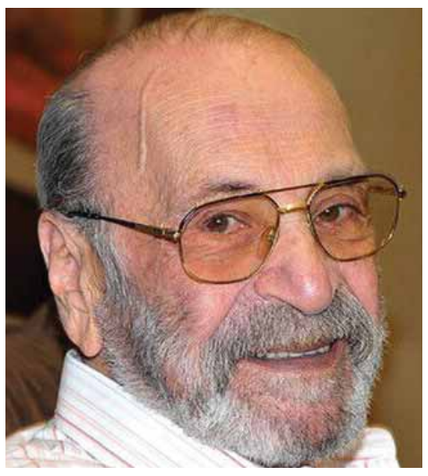
رفيق سبيعي

> إذاعة دمشق تصر على التمسك بتقليد الدراما الإذاعية وتحمل عبق الرواد

الدراما الإذاعية

أن تمتلك القدرة على تمثيل كل مشاعرك وأحاسيسك بصوتك فقط ذلك يعني أنك محترف في التمثيل الدرامي الإذاعي، ولكن أن تكتب الدراما الإذاعية لتفتح مجال الخيال لدى المستمع، هذا هو الاحتراف بذاته.

تؤدي المسلسلات الإذاعية رسالة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، بفضل سهولة التلقي والمتابعة أثناء التنقلات من خلال مدة لا تتجاوز ١٥ دقيقة.

في الماضي وقبل انتشار الدراما التلفزيونية كانت الدراما الإذاعية تحتل مكانةً في حياة الناس، لكن في هذا الزمن تغير كل شيء.

الدراما الإذاعية اليوم تواجه معادلة صعبة عبر تحول الإذاعات إلى FM ذات الإيقاع السريع ومنافسة التلفزيون، ما أدى إلى ندرة ذلك الفن العريق واقتصاره على بعض المناسبات والأعياد.

هذه الدراما مرهونة بطلب المحطات الإذاعية، وللأسف تم تحجيمها، وليس للمستمع علاقة بهذا التحجيم، بل على العكس فإنه يرحب بها دائماً، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من الناس مازالوا مواظبين على الاستماع إلى برنامج «حكم العدالة» كل ثلاثاء عبر إذاعة دمشق.

ربما يجد البعض هذه الدراما الأجمل إن أحسن إعدادها، لأنها تعطي فرصة لخيال المستمع وقدراً من المتعة، ومعها يقضي المستمع وقته -على الطريق- بلا ملل، وبأجوائها الممتعة ومفرداتها وأصوات مؤديها، تمر المواقف في خياله وكأنها شريط مصور.

وأهم ما يميز الدراما الإذاعية عما سواها هو أن كل متلق يكون مشاركاً في إخراج العمل بتخيله له، وكل يأخذ منه على قدر قريحته وخياله.

دور كبير

كان للمسلسلات الإذاعية دور كبير لم يقل شأناً عن حكايات الجدة والأم التي تربينا عليها، والجيل القديم لديه ذاكرة قوية تجاهها، وإلى اليوم الفرصة متاحة لظهورها ثانية، لكن الإذاعات باتت تفضل بث برامج وأغانٍ تحصل من ورائها على مردود أفضل بدلاً من المسلسلات، خاصة بوجود رعاة البرامج.

بين AM وFM

كانت الدراما مرتبطة بإذاعات AM ذات المجال الواسع للحديث والحوار، وما زالت موجودة ولكن على نطاق بسيط ويتم بثها على الطريقة القديمة.

مع ظهور إذاعات الدراما الإذاعية هل باتت التي رصدت الحياة اليومية بطريقة سريعة وتناولت الموسيقا بكثرة، اختفت الدراما.

ولأن المستمع ليس لديه وقت للاستماع في عجلة الحياة، أصبح التوجه نحو إذاعات ذات الإيقاع السريع والأغاني والبرامج والمسابقات الملائمة لذوق الشباب، إضافة إلى أن المسلسل الإذاعي كان مكلفاً على المحطات الخاصة.

مواقع التواصل

لا بد من الاعتراف بأن التلفزيون والإذاعة باتا يعانيان معاً مشكلة العزوف عنهما، لأن شبكة الإنترنت بدأت تنافسهما بشدة، فمن خلال هاتفك الجوال مثلاً صرت تسمع أي أغنية أو تشاهد أي مسلسل، إذ تعددت خيارات المتابعة والمشاهدة، غير أننا نستطيع استعادة نشاط الإذاعة وألقها وحضورها، وذلك بإعادة الاعتبار إلى القضايا الحياتية الملحة، فشعبنا بطبيعته ميال إلى كل ما هو محلي، يفضل الرواية التي تحاكي واقعه ويتابع المسلسل التلفزيوني الذي يتبنى قضاياه، مع الإشارة إلى أننا شهدنا في السنوات الأخيرة تراجعاً في الدراما السورية التي ذهبت باتجاه قضايا سطحية بعد أن احتلت ولعقدين من الزمن معظم الشاشات العربية، وربما هذا ينسحب على الدراما الإذاعية التي تحتاج إلى تعميق طروحاتها، والوقوف عند معاناة المواطن السوري.

وفي حال اعتبرنا أن مواقع التواصل الاجتماعي لا تنافس الإذاعة، لأنها لا تستقطب الأشخاص الذين يتنقلون في سياراتهم، فإنه لو تم وضع المسلسلات الإذاعية على مواقع التواصل الاجتماعي فإنها ستحقق المتابعة أكثر من المعتاد.

الإذاعة السورية

ورغم أن إذاعات موجة FM لم تتمكن من تقديم دراما إذاعية تحقق الصدى الطيب، فإن إذاعة دمشق العريقة تصر على التمسك بتقليد الدراما الإذاعية خاصة أنه سبق لبعض مسلسلاتها أن حققت نسب حضور أكثر من التلفزيون.

وقد نشأت الدراما في إذاعة دمشق أوائل الخمسينيات بعد تأسيسها مباشرة، على يد رئيس دائرة التمثيليات ممتاز الركابي الذي كتب وأخرج ومثّل في عدد من الأعمال التاريخية والعالمية واستعان للتمثيل فيها بادئ الأمر ببعض المذيعين والمذيعات مثل فؤاد شحادة وعادل خياطة ولمياء الشماع وبدر المهندس والطلبة المشاركين في برنامج الطلبة الأسبوعي وبرنامج الأطفال مثل خلدون المالح ونجوى صدقي ويارا المالح وعدنان حبال إلى جانب الأعمال الدرامية الإذاعية التي كان يكتبها ويخرجها وصفي المالح وأكرم خلقي ويستقدمان لها ممثلين وممثلات هواة من النادي الشرقي للتمثيل والموسيقا والنادي الفني مثل عدنان عجلوني وسامي جانو ونهاد قلعي وأولغا غنوم وعبد الرحمن آل رشي وهدى شعراوي وفاطمة الزين ويعقوب أبو غزالة.

وقد كسبت الإذاعة آنذاك مخرجاً موهوباً درس وتدرب في القدس والقاهرة هو تيسير السعدي الذي كان مع حكمت محسن وأنور البابا وفهد كعيكاتي وعبد السلام أبو الشامات ورفيق سبيعي أعضاء في الفرقة السورية التي سميت فيما بعد فرقة المسرح الحر، وضمت سعد الدين بقدونس وعبد اللطيف فتحي ونزار فؤاد وهاشم وعمر قنوع ونور كيالي ومحمد طرقجي ومحمد العقاد.

أما في الإذاعة فقد استدعي ممتاز الركابي هؤلاء الفنانين المسرحيين من دمشق وحلب للعمل في الإذاعة فاستجابوا بحماسة وراح حكمت محسن يكتب بواكير أعماله الإذاعية الرائعة.

وهي بالمناسبة لم تكن كلها كوميدية بل تراجيدية أيضاً وشكلت قاعدة انطلاق راسخة ومدرسة أساسية للدراما الإذاعية السورية باللهجة العامية، رافقها استمرار تقديم التمثيليات الإذاعية المعدّة عن المسرح والرواية وكتب التاريخ العربية وغير العربية باللغة الفصحى وما زالت هذه الأعمال كلها موجودة في الأرشيف.

وقد عمدت إذاعة دمشق منذ عقود طويلة إلى إنتاج وبث برامج درامية، ثقافية أو اجتماعية وأخرى كوميدية أسبوعية أو يومية بنوعية جيدة.

إذا، الدراما الإذاعية السورية فن عربي رائد يسير ويتطور في الاتجاه الصحيح من غير أن يخضع لأي هدف تجاري أو ترويجي.